

الدروس بين العافية والبلاء



السترة
د. سعيد بن سالم الرازي

www.baynoona.net



@baynoonanet



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يسّرّ شبكة بينونة للعلوم الشرعية أن تقدم لكم تفريغاً

عنوان

الْمُسْلِمُ بَيْنَ الْعَافِيَةِ وَالْابْتِلَاءِ

للشيخ

د. سعيد بن سالم الدرمكي

حَفَظَهُ اللَّهُ تَعَالَى



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِي اللَّهُ فَلَا مُضِلٌّ لَهُ، وَمَنْ يَضْلِلُ فَلَا هَادِي لَهُ، وَأَشْهُدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهُدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ.

أما بعد...

فإن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلاله وكل ضلاله في النار.

كَحْ إِخْوَانِي الأَفَاضل؛ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِمَا خَلَقَ إِلَيْهِ مَحَلًا قَابِلًا لِلابتلاء، وجعل من أعظم الرزق الذي يمُنْ عليه به نعمة العافية، فالعبد في هذه الحياة يتقلب بين نعمة وبين بلاء، والله جَلَّ جَلَالُهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحُكْمِ مَا لَا يُحْصِيهِ إِلَّا
هُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

أعظم النعم أن يمن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عليك بنعمة العافية، العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِمْنِي شَيْئًا أَسْأَلُهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قَالَ: «سَلِ اللَّهَ الْعَافِيَةَ»، قَالَ: فَمَكَثْتُ أَيَامًا ثُمَّ جَئْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِمْنِي شَيْئًا أَسْأَلُهُ اللَّهُ، فَقَالَ لِي: «يَا عَبْدَنِي يَا عَمَ رَسُولِ اللَّهِ، سَلِ اللَّهَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»⁽¹⁾.

وهذا يدلنا على أن من أعظم ما يسأل العبد ربه العافية؛ وقال ﷺ مبيناً مكانة العافية: «وَسَلُوا اللَّهَ الْمُعَافَاهُ، فَإِنَّهُ لَمْ يُؤْتَ أَحَدٌ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْمُعَافَاهِ»⁽²⁾ أو من العافية.

فَبَيْنَ **العافية** من خير العطایا ومن خير الممن التي يمتن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بها على عبده.

وَهَا هُوَ يَعْتَبِرُ الصَّحةُ وَالعَافِيَةُ فِي الْجَسْدِ، وَالطَّعَامُ الْقَلِيلُ، وَالْأَمْنُ مِنْ أَسْبَابِ الرَّاحَةِ وَالْطَّمَانِيَّةِ لِدِيِّ إِلَيْسَانِهِ، قَالَ ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرِّهِ، مُعَافًا فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ طَعَامٌ يَوْمَ فَكَانَمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا»⁽³⁾.

(1) - أخرجه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (8 / 378) برقم: (465)

(2) - أخرجه ابن حبان في "صححه" (3 / 230) برقم: (950)

(3) - أخرجه الترمذى في "جامعه" (4 / 167) برقم: (2346)



ولذلك كان ﷺ يسأل الله جل جلاله العافية في غالب أوقاته وأحيانه، لا يدع هذا الدعاء وسؤال الله سبحانه وتعالى العافية، جاء عند أبي داود والنسيائي وغيره أن النبي لم يكن يدع هذه الدعوات حين يمسي وحين يصبح: «اللهم إني أسألك العافية في الدنيا، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي»⁽¹⁾. فتأملوا كيف أن النبي ﷺ سأل ربه العافية في جميع أحواله، ومعشه، وآخرته، ودنياه، وفي أهله، ومالي.

بل أخبر ابن عمر رضي الله عنه كما عند مسلم أن ابن عمر أمر رجلاً إذا أخذ مضجعه أن يقول: «اللهم خلقت نفسى وآمنت توفاها، لك مماثها ومحياتها، إن أحيايتها فاحفظها، وإن ماتتها فاغفر لها، اللهم إني أسألك العافية»⁽²⁾. وهذا أنت لما تستيقظ علمنا النبي ﷺ أن نقول: «الحمد لله الذي رد على روحى، وعافاني في جسدى»⁽³⁾.

وكان ﷺ بين السجدين يقول: «اللهم اغفر لي، وارحمني، وعافني، واهدни، وارزقنى»⁽⁴⁾.

وجاء رجل إلى النبي ﷺ، فعلمته صلوات الله وسلامه عليهـ أن يدعو بهذه الدعوات: «اللهم اغفر لي، وارحمني، وعافني، وارزقنى «ويجمع أصابعه إلا الإبهام» فإن هؤلاء تجمع لك دنياك وآخرتك»⁽⁵⁾.

«اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والأخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي»⁽⁶⁾؛ هذا كان من دعاء النبي ﷺ.

فالعافية لا تصلح الدنيا إلا بها، وما العيش والأمن إلا في ربوعها وأجوانها، بالعافية ينال الإنسان مطلوبه، ويسعد في مرغوبه.

ولذلك على العبد إلا يهم الدعاء، وطلب العافية من الله سبحانه وتعالى.

(1) - أخرجه مسلم في "صححه" (8 / 78) برقم: (2712)

(2) - أخرجه مسلم في "صححه" (8 / 78) برقم: (2712)

(3) - أخرجه ابن حبان في "صححه" (1 / 360) برقم: (147)

(4) - أخرجه البخاري في "صححه" (1 / 50) برقم: (198)

(5) - سبق تحريره

(6) - سبق تحريره.

والعاافية تشمل العافية من الأمراض، والعافية من الأمراض بأنواعها؛ أمراض القلوب، من الشهوات والشبهات، فإن القلوب تمرض، ومرضها قد ينقسم إلى قسمين:

- أمراض معنوية.

- وأمراض مادية طبية.

للهم من الأمراض المعنوية التي لا ينتبه لها: أمراض الشهوات، بأن يحب العبد المعصية والذنب، وما نهاه الله سبحانه وتعالى عنه؛ كشهوة المال، والطغيان فيها، وشهوة الولد، وعدم استعمالها في طاعة الله جل جلاله، وشهوة الفرج وصرفها في غير ما أذن الله سبحانه وتعالى، وشهوة النظر، وغير ذلك من أنواع الشهوات التي يسأل العبد ربه أن يعافيه من الوقوع فيها أو من الاستمرار عليها إن وقع فيها.

للهم كذلك من أمراض القلوب التي تصيب القلب ويسائل الله العافية منها: أمراض الشهوات التي تصيب القلب فتلوكه، وتضيق الدين عن العبد، فإن الشهوات تكون في أمور الدنيا، والشبهات تكون في أمور العقيدة والدين.

والسالم حقيقة هو الذي سلم من هذين الأمرين كما أخبر الله سبحانه وتعالى في

قوله: **﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقُلْبٍ سَلِيمٍ﴾** [الشعراء من الآية ٨٨ إلى

الآية ٨٩]

والقلب السليم كما قال أهل العلم: هو القلب الذي سلم من كل شبهة في الدين، ومن كل شهوة في الدنيا.

فالعاافية تشمل **السلامة** من أمراض القلب المعنوية، والسلامة من الأقسام والابتلاءات التي تصيب الإنسان من الأمراض ونحوها؛ العافية مع الأهل، العافية في المال، العافية في حياتك الدنيا فكل ذلك من العافية.

ومع هذه النعمة التي قد يمتن الله سبحانه وتعالى بها على العبد؛ فإن العبد كذلك معرض للابتلاء، فالابتلاء سنة ربانية ماضية، وهي من مقتضيات حكمة الله سبحانه وتعالى وعدله.

وهذا الابتلاء نراه في حالة؛ الفقر، والغنى، والصحة، والمرض، والخوف، والأمن ، والنقص، والكثرة بل وفي كل ما نحب ونكره، ولا نخرج من دائرة الابتلاء، يقول الله سبحانه وتعالى: **﴿وَبَلَوَنَّهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾**



﴿الْأَعْرَافُ الآية ١٦٨﴾، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَتَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾
[الأنياء الآية ٣٥].

↳ يقول ابن عباس: "نبتليكم بالشدة والرخاء، والصحة والسوء، والغنى والفقير، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والهدى والضلال".

↳ العاقل يجب عليه حتماً أن يومن أن هذه الأشياء التي تحصل له من عافية أو من ابتلاء قد فرغ منها، وأن الله جل جلاله قد قدر صغيرها وكبيرها، وعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، **﴿وَمَا مِنْ دَآبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحِيهِ إِلَّا أَمْمَ أَمْتَالُكُمْ﴾** [الأنعام الآية ٣٨].

ويقول النبي ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلْمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا اكْتُبْ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»^(١).

↳ فالمقادير كائنة ولا بد، وإذا ما قدر على المرء حال شدة وابتلاء ومصيبة فيجب عليه حينئذ أن يتصرف بأمرتين:
أولاً: الصبر، ولا يملك غيره.

والأخرى: الرضا؛ وذلك لكمال علمه بأن ما جرى، وما حصل، وما وقع عليه إنما هو بقضاء الله وقدره.

فإذا ما حصل وجمع بين الصبر والرضا استوفى كمال الأجر، فكم من شدة قد صعبت وتعذر زوالها على العالم بأسره، ثم فرج عنها بالسهل في أقل من لحظات.
قيل للحسن: "يا أبا سعيد: من أين أتى هذا الخلق؟ قال: من قلة الرضا عن الله، قال: ومن أين أوتيت قلة الرضا عن الله؟ قال: من قلة المعرفة عن الله".

وما يصيب الإنسان إن كان يسره فهو نعمة وخير، وإن كان يسوئه فهو نعمة أيضاً إما:

- من جهة أنه يُكفر خطایاه، ويُثاب بالصبر عليه.
- وإنما من جهة أن فيه حكمة ورحمة لا يعلمه إلا الله جل جلاله.

(١) - أخرجه والترمذى فى "جامعه" (٤ / ٢٩) برقم: (2155)



ومن هنا نعلم أن الإنسان يتقلب بين العافية والابلاء، بين الخير والشر، قال الله تعالى: «وَعَسَى أَن تَكْرِهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» [البقرة الآية ٢١٦].

وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «عَجَباً لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَكَرٌ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَرَّ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»^(١).

﴿أَخْبَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنِ ابْتِلَاءِ الْعَبْدِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَنَبْلُونَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخُوفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة الآية ١٥٥]، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ هَذَا الإِخْبَارِ عَنِ الْبَلَاءِ: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِّنْ رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهَتَّدُونَ﴾ [البقرة من الآية ١٥٥ إلى الآية ١٥٧].

فتأملوا إلى هذه الآيات وكيف أن الله سبحانه وتعالى حول هذه المحنـة إلى منحة فلذلك قال: (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ)؛ الذين إذا أصابتهم هذه المصائب وأصابهم هذا الابلاء رجعوا إلى الله سبحانه وتعالى (قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ).

﴿قَالَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضَ لِذَكْرِ الرَّجُلِ: "أَتَدْرِي مَا مَعَنَا هَا؟ أَيْ أَنِّي لَهُ عَبْدٌ وَأَنِّي إِلَيْهِ رَاجِعٌ، قَالَ: فَإِذَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ فَاعْلَمْ أَنَّكَ مُوقَفٌ بَيْنَ يَدِيهِ، وَإِذَا عَلِمْتَ أَنَّكَ مُوقَفٌ فَاعْلَمْ أَنَّكَ مَسْئُولٌ، فَهَلْ أَعْدَدْتَ لِلسُّؤَالِ جَواباً؟!".

﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِّنْ رَّبِّهِمْ﴾؛ ليس صلاة، عليهم صلوات من ربهم ﴿صَلَواتٌ مِّنْ رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهَتَّدُونَ﴾ [النساء الآية ١٥٧] فضل من الله ومنه ، ﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيِّماً ﴿٧﴾﴾ [النساء الآية ٧] يؤتـيهـ من يشاءـ من عبادـهـ.

أبـتـلـيـ خـيـرـ النـاسـ، ابـتـلـيـ الـأـنـبـيـاءـ؛ أـشـدـ بـلـاءـ «الـأـنـبـيـاءـ ثـمـ الـأـمـثـلـ فـالـأـمـثـلـ»^(١) كما قال النـبـيـ ﷺ.

(١) - أخرجه مسلم في "صحيـهـ" (٨ / 227) برقم: (2999)



كَهُنْبِنَا ﷺ كَانَ قَدْوَةً لَنَا فِي كُلِّ شَيْءٍ وَمَنْ ذَلِكَ فِي بَلَائِهِ؟

أصابه البلاء وهو في بطنه أمه بفقده والده عبد الله الذي مات وهو في بطنه أمه، وكان النبي ﷺ في بطنه أمه، ثم ماتت أمه وعمره ست سنين وكفله جده، ثم مات جده وعمره ثمانى سنين وكفله عمه، وعمل بالرعي وبالتجارة.

ثم لما أتاه الوحي عاده قومه، وأذوه، وسبوه، واتهموه في عقله، وحدروا الناس منه حتى ذهب إلى الطائف وجرى له ما جرى، ثم جاء إلى مكة وقد ماتت زوجه خديجة التي كانت تساعدته وتشد من أزره ومات عمه قبلها.

وها هو رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يلطف به في قصة الإسراء والمعراج ليُسلِّي عنه ما أصابه من هذا البلاء، ثم يترك هذه البلدة التي عاش فيها مكة، ويهاجر إلى المدينة تارِّكًا كل ما فيها وراءه.

ولما وصل إلى المدينة وإذا بأهل النفاق وإذا بالأعداء من كل حدب وصوب وأهل قريش؛ ووقعت معركة بدر، وأحد؛ وقتل في أحد ما يقرب من سبعين من أصحابه ومنهم عمه، ثم الأحزاب؛ واقرأوا سورة الأحزاب لتعلموا مقدار الابلاء الذي عاشه الصحابة -رضوان الله عليهم-، ثم ما جرى بعد ذلك من بقية الغزوات، واتهم في عرضه ﷺ إلى أن توفاه الله جَلَّ جَلَّهُ.

فالأمراض والأسماء وما يصيب العبد من المصائب هذا بقدر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فَالْعَبْدُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ لَنْ يَخْلُو مِنْ ابْلَاءٍ؛

- إما بخير يحتاج إلى شكر.

- وإنما بابتلاء بشيء يكرهه يحتاج إلى صبر.

إخْوَانِي الْأَفَاضِلِ: من الابلاء الذي يُصيب العباد الأمراض والأسماء.

ولذلك يقول الشاعر يقول:

ثمانية لا بد منها أن تمر على الفتى ولا بد أن تجري عليه هذه الثمانية
سرور وهم واجتماع وفرقة ويسر وعسر ثم سقم وعافية
والأمراض والأسماء وإن كانت ذات مرارة وثقل واشتداد إلا أن الباري
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جعل لها حكم وفوائد كثيرة علمها من علمها وجهلها من جهلها.

(1) - أخرجه ابن حبان في "صحيحة" (7 / 160) برقم: (2900)



ابن القيم رحمه الله له كتاب أنصحكم بقراءته اسمه [شفاء العليل] أحصى ما للأمراض من فوائد وحكم زادت على المائة فائدة، قوله كلمة جميلة يقول فيها: "انتفاع القلب والروح بالألام والأمراض أمر لا يحس به إلا من فهي حياة، وصحة القلوب والأرواح موقوفة على آلام الأبدان ومشاقها".

فالابتلاء بالأمراض والأسقام قد يكون هبة من الله ورحمة، ليُكفر بها الخطايا ويرفع بها الدرجات، فقد استأذنت الحمي على النبي ﷺ، فقال: «مَنْ هَذِهِ؟» قالت: أم ملجم [وهي كنية للحمى]، قال: فأمر بها إلى أهل قباء، فلقوها منها ما يعلم الله، فأتوا ذلك إليه، فقال: «مَا شِئْتُمْ؟ إِنْ شِئْتُمْ أَنْ أَذْعُوكُمْ فِي كِشْفِهَا عَنْكُمْ، وَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَكُونَ لَكُمْ طَهُورًا»، قالوا: يا رسول الله، أو تفعل؟ يعني الحمى تفعل ذلك، قال: «نعم»⁽¹⁾، قالوا: فدعها.

وقال: «مَا مَنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذْى، شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا، إِلَّا كَفَرَ اللَّهُ بِهَا سَيِّنَاتِهِ، كَمَا تَحْطُ الشَّجَرَةُ وَرَقَّهَا»⁽²⁾.

وقال رجل لرسول الله ﷺ: أرأيت هذه الأمراض التي تصيبنا ما لنا بها؟ قال: «كُفَّارَاتٌ» قال أبي: وإن قلت؟ قال: «وَإِنْ شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا»⁽³⁾.

وعاد رسول الله ﷺ مرضياً في وعك؛ والوعك هو الحمى، فقال رسول الله ﷺ: «أَبْشِرْ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: هِيَ نَارٍ أَسْلَطْهَا عَلَى عَبْدِي الْمُؤْمِنِ فِي الدُّنْيَا، لِتَكُونَ حَظْهُ مِنَ النَّارِ، فِي الْآخِرَةِ»⁽⁴⁾.

ومن هنا نعلم هذه الآثار الإيجابية التي تنتج عن الأمراض والأسقام والابتلاء، ونعلم أن مذاقه كالصبر مر ولكن عواقبه أحلى من الشهد والعسل المصفى.

ولذلك نهى النبي ﷺ أن يسب العبد الحمى، دخل على أم السائب أو أم المسئيب فقال: «مَا لَكِ؟ يَا أُمَّ السَّائِبِ أَوْ يَا أُمَّ الْمُسَيِّبِ تُزَفِّفِينَ؟» قالت: الحمي، لا بارك الله فيها، فقال: «لَا تَسْبِي الْحُمَّى، فَإِنَّهَا تُذَهِّبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ، كَمَا يُذَهِّبُ الْكِبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ»⁽⁵⁾.

(1) - أخرجه ابن حبان في "صححه" (7 / 197) برقم: (2935)

(2) - أخرجه البخاري في "صححه" (115 / 7) برقم: (5647)

(3) - أخرجه ابن حبان في "صححه" (7 / 190) برقم: (2928)

(4) - أخرجه الحاكم في "مستدركه" (1 / 345) برقم: (1281)

(5) - أخرجه مسلم في "صححه" (8 / 16) برقم: (2575)

⇒ وهذا كلام جميل لابن القيم رحمه الله ذكره في كتابه [الفوائد] يحسن أن نقف معه ونقرأه، يقول رحمه الله: "فَاحْكُمُ الْحَاكِمِينَ وَأَرْحَمُ الرَّاجِمِينَ وَأَعْلَمُ الْعَالَمِينَ الَّذِي هُوَ أَرْحَمُ بَعْبَادَه مِنْهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ وَمَنْ أَبَاهُمْ وَأَمْهَاتُهُمْ إِذَا أُنْزَلُ بَهُمْ مَا يُكْرَهُونَ كَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَنْ لَا يُنْزَلُهُمْ بَهُمْ نَظَرًا مِنْهُ لَهُمْ وَإِحْسَانًا إِلَيْهِمْ وَلَطْفًا بَهُمْ، وَلَوْ مَكَنُوا مِنْ الْاِخْتِيَارِ لَأَنْفُسِهِمْ لَعْجَزُوا عَنِ الْقِيَامِ بِمَصَالِحِهِمْ عَلَمًا وَإِرَادَةً وَعَمَلاً لَكُنَّهُ سُبْحَانَهُ تَوْلِي تَدْبِيرِ أُمُورِهِم بِمُوجَبِ عِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ أَحَبُّوا أَمْ كَرِهُوا، فَعُرِفَ ذَلِكَ الْمُوقَنُونَ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ فَلَمْ يَتَهَمُوهُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَحْكَامِهِ، وَخَفِيَ ذَلِكُ عَلَى الْجُهَالِ بِهِ وَبِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ فَنَازَ عَوْهُ تَدْبِيرِهِ، وَقَدْحُوا فِي حِكْمَتِهِ، وَلَمْ يُنْقَادُوا لِحِكْمَهِ، وَعَارَضُوا حِكْمَهُ بِعَقْولِهِمُ الْفَاسِدَةُ وَأَرَائِهِمُ الْبَاطِلَةُ وَسِيَاسَاتِهِمُ الْجَائِرَةُ؛ فَلَا لِرَبِّهِمْ عَرَفُوا، وَلَا لِمَصَالِحِهِمْ حَصَّلُوا".

ثم قال: فقضاء رب سُبْحَانَهُ في عبده دائم بين العدل والمصلحة والحكمة والرحمة، لا يخرج عن ذلك البُلْتَةَ كما قال ﷺ في الدُّعَاء المُشْهُور: «اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أُمِّكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ ماضٌ فِي حُكْمِكَ عَدْلٌ فِي قَضَاؤُكَ...».

والمقصود قوله عدل في قضاوتك وهذا يتناول كل قضاء يقضيه على عبده من عقوبة أو ألم وسبب ذلك فهو الذي قضى بالسبب وقضى بالسبب وهو عدل في هذا القضاء وهذا القضاء خير للمؤمن كما قال والذي نفسي بيده لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له وليس ذلك إلا للمؤمن".

وقد وردت في الابتلاء والإصابة به نبينا ﷺ، فقد ابتدى كما قال ﷺ: «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالآمنث»⁽¹⁾.

ولا يزال البلاء بالعبد على قدر دينه، أو كما قال ﷺ: «حَتَّى يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ»⁽²⁾.

والعبد يوم القيمة إنما ترتفع درجاته بفضل الصبر على هذا الابتلاء الذي ابتدى به.

كَمْ فَنَبَّنَا ﷺ ابْنَى مِنْ أَوْلَ نَشَأْتِهِ:

فقد ولد يتيمًا، وماتت أمه وهو في السادسة، ومات جده وهو في الثامنة، وتولاه عمّه، وعمل بالرعي والتجارة، ثم بعد أن أوحى عليه عاده قومه وأقرب الناس إليه، وسبوه، وحدروا الناس منه، ولقي ما لقي في الطائف مما هو معلوم

(1) - سبق تخرجه.

(2) - أخرجه ابن حبان في "صححه" (7 / 160) برقم: (2900)

لديكم، ثم ماتت خديجة رضي الله عنها التي كانت تشد من أزره، ومات عمها كل ذلك في سنة واحدة.

والله عَزَّوجَلَ سُلَى عنـهـ، وأذهب ما به من ذلكم الحزن في قصة الإسراء والمعراج، ثم ترك مكة وهاجر إلى المدينة، وفي المدينة لقي ما لقي من يهودها ومن منافقـهاـ.

ثم ما حصل في غزوة بدر وأحد؛ وقتل في أحد ما يقرب من سبعين من أصحابـهـ ومنهم عمه حمزة، والخندق واقرأوا إن شئتم سورة الأحزاب لتعلموا مقدار الابلاء الذي عاشـهـ الصحابةـ رضوانـ اللهـ عليهمـ.

ثم ما جرى له بعد ذلك من اتهام أهل النفاق له في عرضـهـ؛ تولـىـ ذلك عبدـ اللهـ بنـ أبيـ بنـ سـلـوـلـ وـوـقـعـ فـيـهـ مـنـ وـقـعـ مـنـ الصـحـابـةـ رـضـوانـ اللهـ عـلـيـهـمـ، وـقـدـ طـهـرـهـمـ اللهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ فـالـابـلـاءـ وـاقـعـ لـلـعـبـدـ وـلـاـ مـحـالـةـ، وـلـمـ يـسـلـمـ مـنـهـ أـحـدـ.

لكن لا يُظـنـ مـاـ سـبـقـ أـنـ المـرـضـ مـطـلـبـ مـنـشـودـ، فـلـاـ يـنـبـغـيـ لـلـمـؤـمـنـ أـنـ يـتـمـنـيـ الـبـلـاءـ، وـأـنـ يـسـأـلـ أـنـ يـنـزـلـ بـهـ الـمـرـضـ قـالـ ﷺ: «سـلـوـاـ اللـهـ الـعـفـوـ وـالـعـافـيـةـ فـإـنـهـ مـاـ أـوـتـيـ عـبـدـ بـعـدـ يـقـيـنـ شـيـئـاـ خـيـراـ مـنـ الـعـافـيـةـ»⁽¹⁾.

﴿وَلَا بَدْ أَنْ نَعْلَمْ أَنَّ الْإِسْلَامَ حِينَما يُرْغَبُ فِي الصَّبْرِ عَلَى الْبَلْوَى، وَيُبَيَّنُ مَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ الْأَسْقَامُ مِنْ أَثَارٍ شَافِيَّةٍ وَحُكْمٌ كَافِيَّةٍ فَلَا يَفْهَمُ أَنَّهُ يَمْجُدُ الْآلَامَ وَيَكْرَمُ الْأَوْجَاعَ وَالْأَسْقَامَ، وَإِنَّمَا يَحْمُدُ الْإِسْلَامَ لِأَهْلِ الْبَلْوَى وَأَصْحَابِ الْأَسْقَامِ صَبْرُهُمْ وَحَسْنُ يَقِينِهِمْ﴾.

قال تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَعَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا﴾

عليـمـاـ ﴿النـسـاءـ الآيةـ ١٤٧﴾

هذه الابلاءات وهذه الأسمـاقـ إذا استـحـكـمتـ وـطـالـ لـيـلـهـ؛ فالصـبـرـ وـحـدهـ هوـ العاصـمـ بـأـمـرـ اللهـ مـنـ الـجـزـعـ، وـهـوـ الـهـدـيـةـ الـوـاقـيـةـ مـنـ القـنـوـطـ عـنـ الـكـرـبـ.

كـهـ وـاسـتـمـعـواـ إـلـىـ مـاـ قـصـهـ رـسـوـلـناـ ﷺـ عـنـ مـرـضـ أـيـوبـ عـلـيـهـ السـلـامـ:

قال ﷺ: «إِنَّ أَيُوبَ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِبِثَ فِي بَلَائِهِ ثَمَانَ عَشْرَةَ سـنـةـ فـرـضـهـ الـقـرـيبـ وـالـبـعـيدـ إـلـاـ رـجـلـيـنـ مـنـ إـخـوـانـهـ كـانـاـ مـنـ أـخـصـ إـخـوـانـهـ كـانـاـ يـغـدوـانـ إـلـيـهـ وـيـرـوحـانـ فـقـالـ أـحـدـهـاـ لـصـاحـبـهـ: تـعـلـمـ وـالـلـهـ لـقـدـ أـذـنـبـ أـيـوبـ ذـنـبـاـ مـاـ أـذـنـبـهـ أـحـدـ مـنـ الـعـالـمـيـنـ قـالـ لـهـ صـاحـبـهـ: وـمـاـ ذـاكـ؟ قـالـ: مـنـذـ ثـمـانـ عـشـرـةـ سـنـةـ لـمـ

(1) - سـبـقـ تـخـرـيـجـهـ.



يرحّمه الله فيكشف ما به فلما راح إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له فقال أيوب: لا أدرى ما تقول غير أنَّ الله يعلم أنِّي كنتُ أمرُّ على الرجالين يتنازعن فيذكران الله فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهم كراهية أنْ يذكر الله إلا في حقٍ قال: وكان يخرج إلى حاجته فإذا قضى حاجته أمسكت امرأته بيده فلما كان ذات يوم أبطأ عليها فأوحى الله إلى أيوب في مكانه **﴿أَرْكَضَ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾** [ص الآية ٤٢] فاستبطأه فبلغته فأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء فهو أحسن ما كان فلما رأته قالت: أي بارك الله فيك هل رأيت نبيَ الله هذا المبتلى والله على ذلك ما رأيت أحداً كان أشبه به منك إذ كان صحيحاً قال: فإنِّي أنا هو وكان له أندران: أندر القمح وأندر الشعير فبعث الله سحابتين فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاضت وأفرغت الأخرى على أندر الشعير الورق حتى فاضت ^(١).

فانظروا إلى أيوب وصبره، فقد صدق الحكم ولقد صدق قائلها: "الصبر صبر أيوب"؛ ثمانى عشر سنة وهو يتقلب في مرضه لتكون عاقبة صبره يسرا.

فالبشرى لكل مريض أعاقه مرضه عن القيام بالسنن والنواول التي كان يواطب عليها إبان صحته بأنه مكتوب له لا يُضيع أجرها.

قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَنْ مَرِضَ أَوْ سَافَرَ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ مَا كَانَ يَعْمَلُ صَحِيحًا مُقِيمًا»**^(٢). هذا فضل من الله سبحانه وتعالى ومنه.

بِهِ أَخْتَمُ إِخْوَانِي الْأَفَاضِلِ بأن على العبد أن يلجأ إلى الله سبحانه وتعالى ، وأن يسأله العافية في جميع أموره، وأن يسأله أن يُديم عليه هذه العافية، وأن لا يحول العافية عنه، وإذا أصابه بلاء فعليه بالرضا والصبر، وأن يلجأ إلى الله سبحانه وتعالى ليرفع عنه هذا البلاء، وليعلم أن ما أصابه من بلاء فهو بقضاء الله وقدره وأن فيه من الحكم ما لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى .

فيُبشر كما قال تعالى: **﴿وَبَيْنَ الرَّصَدِيْرِ﴾** [البقرة الآية ١٥٥] بهذه الأجور العظيمة.

(١) - أخرجه ابن حبان في "صححه" برقم: (2898)

(٢) - أخرجه البخاري في "صححه" (57 / 4) برقم: (2996)

وقد جاء في بعض الأحاديث أن النبي ﷺ قال: «يَوْمُ أَهْلِ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلَاءِ التَّوَابَ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرِضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِيضِ»⁽¹⁾ من الأجر الذي يرونـه قد صُبـ على أهل البلاء صـاً أي الذين صبروا على ما أصابـهم في الدنيا.

أـسـالـ اللـهـ العـظـيمـ رـبـ الـعـرـشـ الـعـظـيمـ أـنـ يـنـفـعـنـيـ وـإـيـاـكـمـ بـمـاـ سـمـعـنـاـ

(1) - أخرجه الترمذـيـ فـيـ "جـامـعـهـ" (4 / 206) برـقمـ (2402)



**حسابات شبكة بينونة للعلوم الشرعية
ليصلكم جديد شبكة بينونة، يسعدنا أن نتواصل على الموقع التالي:**

① Twitter 【

<https://twitter.com/BaynoonaNet>

② Telegram 【

<https://telegram.me/baynoonanet>

③ Facebook 【

<https://m.facebook.com/baynoonanetuae/>

④ Instagram 【

<https://instagram.com/baynoonanet>

⑤ WhatsApp 【

احفظ الرقم التالي في هاتفك

<https://api.whatsapp.com/send?phone=971555409191> ☎

أرسل كلمة "اشترك"

تنبيه في حال عدم حفظ الرقم لديك

((لن تتمكن من استقبال الرسائل))

⑥ تطبيق الإذاعة 【

لأجهزة الأيفون

<https://appsto.re/sa/gpi5eb.i>

لأجهزة الأندرويد

<https://goo.gl/nJrA9j>

⑦ Youtube 【

<https://www.youtube.com/c/BaynoonanetUAE>

⑧ Tumblr 【

<https://baynoonanet.tumblr.com/>

⑨ Blogger 【

<https://baynoonanet.blogspot.com/>

⑩ Flickr 【

<https://www.flickr.com/photos/baynoonanet/>

⑪ لعبة كنوز العلم 【

لأجهزة الأيفون

<https://goo.gl/Q8M7A8>

لأجهزة الأندرويد

<https://goo.gl/vHJbem>

【 كي فـي Vk 】

<https://vk.com/baynoonanet>

【 LinkedIn لـينـكـدان 】

<https://www.linkedin.com/in/669392171> شبكة-بينونة-للعلوم-الشرعية-

【 Reddit رـيـدـيـت 】

<https://www.reddit.com/user/Baynoonanet>

【 chaino تشـينـو 】

<https://www.chaino.com/profile?id=5ba33e0c772b23d5bb7daf0a>

【 Pinterest بـنـتـرـسـت 】

<https://www.pinterest.com/baynoonanet/>

【 Snapcha سنـابـشـات 】

<https://www.snapchat.com/add/baynoonanet>

【 تـطـبـيقـ المـكـتبـة 】

لـأـجـهـزـةـ الأـيـفـونـ

<https://apple.co/33uUnQr>

لـأـجـهـزـةـ الـأـنـدـروـيدـ

<https://goo.gl/WNbqvL>

【 تـطـبـيقـ المـوـقـعـ 】

لـأـجـهـزـةـ الأـيـفـونـ

<https://apple.co/2Zvk8OS>

لـأـجـهـزـةـ الـأـنـدـروـيدـ

<https://bit.ly/3fFoxWe>

【 البرـيدـ الـإـلـكـتـرـوـنيـ 】

info@baynoona.net

【 المـوـقـعـ الرـسـمـيـ 】

<http://www.baynoona.net/ar/>



حقوق الطبع محفوظة

سلسلة نور الدين بن بيبيونة

الرسالة

بين العافية والبلاء

لـ
د. سعيد بن دار زمبي

قام بها فريق التفريغ في شركة بيبيونة للعلوم الشرعية



للمزيد من التفريغات

يرجى مسح الكود أو اتباع الرابط التالي

<https://www.baynoona.net/ar/all-tafrighat>